المقدمة

عندما نتحدث عن العداء الغربي للإسلام يجب علينا أولا أن نقول : إن الغرب هو الذي بدأ بالعدوان السافر من الحروب الصليبية وما بعدها من موجات الاستعمار العسكري التي توالت لأكثر من قرنين.

ثم تبع ذلك هجوم من جانب الكثير من المستشرقين على الإسلام عقيدة وشريعة وثقافة. الأمر الذي جعل تاريخ العلاقة بين الجانبين منذ الحرب الصليبية يحكمه العداء..

كان الإسلام بالنسبة للغربيين، ديانة السيف والجهاد أو الحرب المقدسة.. بينما كانت المسيحية بالنسبة للمسلمين دين .. الحروب الصليبية وطموحات الهيمنة.

إن تغيير صورة الإسلام والمسلمين في الغرب، مرهون بعوامل عديدة..

أولها : ضرورة تحديد منابع السيل الهادر من الصور السلبية، وبذل جهود لتصحيحها بالوسائل التي تناسب المجتمعات الغربية وباللغة التي يفهمها المواطن الغربي.

وما تعانيه ثقافات الجنوب من هذا الواقع تعاني الثقافة الإسلامية منه النصيب الأكبر. ويشكل الموقف الغربي المنحاز للكيان الصهيوني العقبة الأكبر في طريق قيام علاقات إيجابية بين الطرفين.

لقد صارت الحضارة الغربية، حضارة خوف.. والحضارة التي يدخلها الخوف بهذا الهوس الشديد والمبني بالخصوص على انعدام الثقة في النفس. تدخل في مراحل اندفاعية، ويبقى على الآخرين أن يؤدوا ثمن هذا الاندفاع حتى وجود توازن جديد

في العالم.

فكما نعلم كثر الحديث في السنوات الأخيرة من القرن العشرين عن نهاية الإيديولوجيات ونهاية التاريخ. هذه المقولة التي طرحها الأمريكي من أصل ياباني [فوكوياما] والتي حاول من خلالها أن يستثمر سقوط الشيوعية في الاتحاد السوفييتي ودول أوروبا الشرقية. وانهيار نموذج معين للبناء الاشتراكي يؤكد بذلك أننا نشهد [نهاية التاريخ] ثم سقوط حائط برلين الذي يعد علامة العصر وبداية التحول الكبير في مسار حركة التاريخ.

وبالتزامن مع أطروحات النظام العالمي الجديد وما يسمى [بصراع الحضارات] الذي أطلقه [هنتنغون] سنة ١٩٩٣. والقائم على أن النزاعات الدولية سواء منها الإقليمية أو العالمية ستكون في المستقبل على شكل «صدام حضارات» وليس على شكل «صراع أيديولوجيات».

يرى الدكتور محمد عابد الجابري، أن خطورة كتاب هنتنغون تكمن ما بين «المقدمة» و«النتيجة» ويشغل كل منهما بضعة أسطر لا غير. أما «بؤرة» الموضوع – بالتعبير الأمريكي – فهو «الإسلام» بالدرجة الأولى. والإسلام منذ عقدين من السنين أصبح في الواجهة ، فهو الشغل الشاغل في الغرب. بل العدو الأول. فلماذا الخوف من الإسلام؟ وهل أصبح الخوف سمة العصر الحديث؟

ذكر إدوارد سعيد. أن نتائج دراسته تؤكد تطابق وجهات نظر الخبراء في الدراسات الشرقية والإسلامية في الدوائر العلمية والاستخباراتية عن الإسلام والمسلمين ، والصورة السيئة التي تروج لها وسائل الإعلام الغربي أمور الشرق والإسلام.

وقد أبرزت تلك الدراسات أن الفكرة المركزية التي يحملها الطرفان – الخبراء ووسائل الإعلام – هي أن الإسلام يمثل تهديداً للغرب. وهذا واضح من نظرية

«برجنسكي» من «هلال الأزمات» إلى المستشرق «برنارد لويس» عن عودة الإسلام.

إن الإسلام – بالنسبة لهؤلاء – كما يقول إدوارد سعيد: «يعني نهاية الحضارة الغربية. باعتباره دينا لا إنسانيا وغير ديمقراطي ولا عقلاني» ولذلك فإن الإسلام في وسائل الإعلام – يمثل تهديداً ينبعث من حركة ناهضة لا تحمل خطر العودة إلى القرون فحسب بل وكذلك. إن هذه النظرة للإسلام تتفق مع التفكير الاستشراقي الذي رسخ الاعتقاد بأن «الإسلام لا يمثل منافسا رهيبا فحسب بالنسبة للغرب – بل إنه يمثل كذلك تحدياً متأخرًا للمسيحية.

وعلى هذا، ما تقوم به وسائل الإعلام الغربية من تشويه صورة الإسلام والمسلمين داخل المجتمعات الغربية.

لقد ظهرت الكثير من الأبحاث والكتب التي تبين فضل الأطباء المسلمين على الطب الغربي الحديث. حيث إن الإسلام أول دين يأتي بنظرية علمية واقعية. وغير ذلك من العلوم المعرفية في الفلك والنظريات والثقافة والقوانين الشرعية.

لقد شهد العقد الأخير من القرن العشرين تنامي التيارات الدينية في أوروبا بسبب تزايد الحضور الإسلامي في الغرب. وسجلت هذه التيارات الدينية حضورًا يبعث على القلق. فظهر على سبيل المثال ... قلاميش بلوك في بلجيكا – والحزب القومي البريطاني – وحزب الشعب الدنماركي – والجبهة الوطنية الفرنسية – ورابطة الشمال الإيطالي – وحزب الشعب السويسري.

ولعل العديد من الحكومات الأوروبية اليوم تضم تيارات يمينية ضمانًا للأغلبية البرلمانية. على الرغم من العداء العلني الذي تبديه هذه التيارات للإسلام والمسلمين. وقد ارتفعت العديد من الأصوات في أوروبا تطالب بحماية المصالح

الأوروبية لتحرير خطابها المناوئ للجهد الإسلامي. فبدأت الحملات من الحد من هجرة المسلمين، وبسن قوانين تحظر الحجاب في المدارس والمؤسسات، وتشديد قوانين اللجوء.

وصرح المستشرق «برنارد لويس» لصحيفة «دي فيلت» الألمانية بأن أوروبا ستكون جزء أمن المغرب العربي. وليس العكس. لأن التوجهات الحالية تظهر أن أوروبا ستشهد أغلبية مسلمة في نهاية القرن الواحد والعشرين على أقصى تقدير. إذ فضلا عن الأعداد المتزايدة من المهاجرين العرب والمسلمين. فإن الأوروبيين يتأخرون في سن الزواج ولا ينجبون سوى عدد قليل من الأطفال. بعكس مسلمي أوروبا الذين يتزوجون في سن مبكرة.

ومن الدلالات والمؤشرات على تبني الغرب لسياسة معادية للعالم الإسلامي، مما يثير مشاعر التوتر في النفوس، ويعمق الفجوة بين الإسلام والغرب، وينعكس ذلك بصفة مباشرة على الأوضاع الأمنية، والاستقرار الاجتماعي خاصة بالنسبة للأقليات الإسلامية التي تعيش في البلدان الغربية.

وعلى العموم فالحرب ضد الإسلام والمسلمين تفهم بالكلمة، والصورة والصوت وأحيانا كثيرة بالكاريكاتور وكل واحد من هؤلاء يساهم بقدر طاقته العدوانية والعنصرية.

لذا لابد من وجود حوار حضاري وديني وثقافي بين الإسلام والغرب.. وبين الإسلام والمسيحية.. غايته استكشاف كل فريق للفريق الآخر. واحترام كل طرف لعقيدة الآخر.

د. عبد الكريم العلوجي